العـــدد 20A شباط 2026
No.20A Feb. 2026
المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254

الجسد المُنتهك في زمن النزوح: دراسة نقدية لرواية "المهاجرة" لنصير أحمد أحمدي على ضوء النقد ما بعد الكولونيالي

م.م. نور ماجد ابراهيم
قسم شؤون الأقسام الداخلية، جامعة الأنبار، الرمادي، العراق
Noor.majid@uoanbar.edu.iq
https://orcid.org/0009-0008-8502-2108
د. محمد شاكر جمعة
قسم الحديث، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الأنبار، الرمادي، العراق.
mohammed.shakir@uoanbar.edu.iq
https://orcid.org/0009-0001-0241-6996
د. خالد عامر عبد الرزاق
شعبة شؤون الترقيات العلمية المركزية، جامعة الأنبار، الرمادي، العراق
Khalid.amer@uoanbar.edu.iq
https://orcid.org/0009-0006-6305-8164?lang=ar

الملخص
يبحث هذا المقال في تمثيلات الجسد الأنثوي في رواية المهاجرة للكاتب الأفغاني نصير أحمد أحمدي، بوصفها سردية تتقاطع فيها معاني الهوية والمنفى والعنف، من خلال منظور النقد ما بعد الكولونيالي. ينطلق البحث من فرضية ترى أن الرواية قد سيّست الجسد الأنثوي وجعلته مرآة لفقدان الوطن وتحوّل الذات في ظلّ سلطات التهجير والاحتلال والمهربين، إذ يتخذ الجسد في النص بعدًا رمزيًا يتجاوز حدوده الفيزيائية ليغدو ساحة لصراع القوى بين المركز والهامش، والذكر والأنثى، والذات والآخر. ويعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، مستنيرًا بالمفاهيم الجوهرية للنقد ما بعد الكولونيالية مثل "الغيرية" و"مقاومة الآخر" و"الهوية الممزقة"، لقراءة التحوّلات التي تطرأ على جسد البطلة مريم منذ لحظة النزوح حتى موتها في المنفى. وتكشف الدراسة أن هذا الجسد، في سيرورته السردية، يتحوّل من موضوع للهيمنة إلى نصّ مقاوم يسعى إلى استعادة صوته وهويته عبر الفعل السردي نفسه. وتخلص النتائج إلى أن رواية المهاجرة ليست مجرد توثيق لمعاناة النزوح، بل هي نصّ ما بعد كولونيالي بامتياز يعيد كتابة الجسد بوصفه ذاكرة موازية للوطن، وفضاءً تتجسّد فيه آثار السلطة والاغتراب، لتغدو مريم، في لحظة موتها وطلبها دفن خريطة الوطن معها، رمزًا مكثفًا لاستعادة الانتماء في مواجهة التلاشي والطمس الثقافي.

الكلمات المفتاحية: رواية المهاجرة، النزوح، الجسد الأنثوي، النقد ما بعد الكولونيالي، الهوية الممزقة.

The Violated Body in the Time of Displacement: A Critical Study of Nasir Ahmad Ahmadi's The Migrant in the Light of Postcolonial Criticism

Assistant teacher. Nour Majid Ibrahim
Dr. mohammed shakir jumaah
Dr. Khalid Amer Abdulrazzaq

Abstract
This study explores the representations of the female body in The Migrant by the Afghan novelist Nasir Ahmad Ahmadi, examining how the narrative intertwines themes of identity, exile, and violence through the lens of postcolonial criticism. The research is grounded in the assumption that the novel politicizes the female body, rendering it a mirror of homeland loss and self-fragmentation under the overlapping powers of displacement, occupation, and human trafficking. In this narrative, the body transcends its physical boundaries to become a contested site of power between center and margin, male and

female, self and other.Employing a descriptive–analytical methodology, the study draws on central postcolonial concepts such as Othering, resistance to the dominant power, and fragmented identity to trace the transformations of Maryam's body from the moment of displacement to her death in exile. The analysis reveals that the body, throughout its narrative trajectory, shifts from being an object of domination to a resistant text seeking to reclaim its voice and identity through the very act of narration.The findings suggest that The Migrant is not merely a documentation of the suffering of displacement, but a distinctly postcolonial text that rewrites the body as a parallel memory of the homeland—a space where power, alienation, and belonging converge—making Maryam's final wish, to be buried with the map of her country, a symbolic reclamation of identity against cultural erasure and dissolution

Keywords: Immigrant novel, displacement, female body, postcolonial criticism, fractured identity.

المقدمة

الأدب الأفغاني وذاكرة النزوح

شهد الأدب الحديث والمعاصر في أفغانستان تحولات نوعية في السرد، وقد تجاوز الإطار التقليدي في وصف الصراعات وآثارها، وقد استطاع أن يصور آثار الحرب العميقة والاحتلال وظاهرة النزوح القسري، لتكون هذه الأمثلة الأدبية شواهد ووثائق لتلك التجارب التي وجدت طريقها في سرديات الأدب الأفغاني، وهي في رواية المهاجرة تصور لنا صوت الهامش (المتضرر الأول) من العنف الجيوسياسي.

إن رواية المهاجرة تمثل صورة مباشرة لمأساة جيل أجبرته الظروف على الهجرة، وتتميز بتقنية سردية تعتمد على الحوار المباشر (عبر الأنترنت) وبين الراوي، والشخصية المركزية (مريم) الفتاة الأفغانية التي تروي قصتها قبل وفاتها في المنفى، وهذه الرواية لا تقتصر على توثيق أحداث الهجرة غير الشرعية بقدر ما استطاعت تسييس الجسد وجعله فضاء يقاوم عنف السلطات المتمثلة في المهربين، وعنف الذاكرة الممتدة بالوطن، وصراعات الحاضر، والمرض والوحدة، ومن هذه المنطلقات، يطرح هذا البحث محوره التحليلي من خلال عدسة نقدية تسعى لفهم العلاقة بين الجسد والهوية والجغرافيا في سياق النزوح.

هناك رأت شخصية مريم في الرواية: حقولا لا تشبه حقول مدينتها، وسماء غريبة، وهواءً مختلفا يرفض أن تدخل فيه، إذ يرسم هذا النص تمزقا للهوية من ناحية، ومن ناحية أخرى يعطي انطباعا إلى أن الجسد نفسه ما زال مرتبطا بالوطن والجغرافيا بوصف الجسد هوية أصلية.

التساؤل المركزي: كيف يجسد الكاتب الجسد بوصفه رمزا للاضطهاد وصورة لفقدان الهوية؟

يطمح هذا البحث للإجابة على التساؤل المركزي التالي: كيف يُجسّد الكاتب نصير أحمد أحمدي جسد مريم بوصفه رمزاً لاضطهاد الهوية الأفغانية في سياق الهجرة غير الشرعية والمنفى، وما هي دلالات هذا التحول السردية والنقدية؟

وينبثق من هذا التساؤل تساؤلات فرعية:

- كيف يتحول الجسد الأنثوي إلى رهن أو سلعة في يد قوى التهريب؟
- كيف تُترجم الآثار النفسية للنزوح إلى مرض عضوي يعكس "أزمة الهوية"؟
- كيف يعكس التواصل عبر الانترنت امتدادا لهيمنة المركز على الهوية؟
- ما هي الرمزية التي يحملها الطلب الأخير لمريم حول ربط جسدها الميت بالوطن والحب الضائعين؟

أهمية البحث وقيمته المضافة

تأتي أهمية هذا البحث أنه يقدم إضافة نوعية في تسليط الضوء على سرديات النزوح الأفغانية، على خلاف الدراسات القائمة التي تسلط الضوء على تحليل السرد من ناحية اجتماعية أو تاريخية، ويعد هذا البحث جامعا بين ثلاثة محاور:

الأول: تطبيق النقد ما بعد الكولونيالي على الجسد الأنثوي بوصفه ساحة صراع سياسية في الأدب الأفغاني.
الثاني: استكشاف المنفى الرقمي وإبراز رمزية التواصل إلى صورة جديدة تمثل الهيمنة التكنولوجية التي تمارس على الآخر، وبذلك يسعى البحث إلى إثراء المكتبة النقدية بتحليل يصور آليات الهيمنة في كل الأبعاد الرمزية والمادية والرقمية.
الثالث: دراسة سرديات الأدب الأفغاني بصورة مختلفة بوصفها سرديات مرت عليها ظروف الاستعمار وعاشتها وحاولت تصويرها بطريقة أدبية ورمزية عالية، وهو ما لم أجد دراسة سابقة بمثل هذه الدراسة.

فرضية الدراسة

تفترض هذه الدراسة أن الرواية سيست الجسد الأنثوي ليصبح صورة للوطن الضائع، إذ صار الجسد عبارة عن معاناته ومرضه ونهاية حياته، ويفترض أيضا أن العنف ورؤية الآخرين للجسد من المهربين وغيرهم يمثلون السلطة المركزية العنيفة التي تتجلى في الاحتلال والمهربين، وتتمركز صورة الأب وفقدانه لسلطة الحماية في جعل الجسد الأنثوي وعاءً أخيرا للحفاظ على الهوية، ومن هنا ترى فرضية البحث أن المؤلف قد اعتبر الجسد متصلا بالكون فشكل خياله من خلال الجسد صورة لممارسات الاستعمار ولا سيما أن عالم الرواية في الشرق لا يفصل الجسد عن الإنسان والكون وكل ما يتصل به (الزبعي، 2006، 17)

المنهج وأداة النقد

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، إذ يقوم البحث بوصف التقنيات السردية والمواقف أولا، ثم يقوم بتحليلها وتأويلها مستندا في التحليل إلى الإطار النظري للنقد ما بعد الكولونيالية (Post-colonial Criticism) بوصفه الأداة الأنسب للدراسات التي تدور حول مفهوم الهوية والمركز والهامش، كما ينتفع البحث من نظرية الجسد في السرديات لتوضيح صورة الجسد التي استعملها المؤلف وذلك من خلال اقتباسات النصوص بصورة حرفية ومباشرة.
وبما أن الجسد يحمل دلالات مختلفة في النصوص الروائية، فهو كيان قابل لإعادة الانتاج لكونه موضوعا قابلا للتشكل بالمخيلة البشرية في النظام الإنتاجي والإبداعي (رسول، 2014، 24) صار لزاما أن يتم النظر للجسد في رواية المهاجرة وتحليله انطلاقا من نظرية الجسد ورؤية ما بعد الكولونيالية.

تمهيد

مقدمات لا بد منها

مفهوم الكولونيالية وما بعد الكولونيالية

معلوم أن الكولونيالية مرحلة تاريخية خضعت فيها بعض الشعوب والدول لسيطرة الأقوى سياسيا وثقافيا واقتصاديا، وهو ما أدى إلى وجود علاقة بين المركز –المستعمِر- والهامش –المستَعمر- إذ كان الأول يرى أن النموذج الغربي للحضارة والثقافة مركزيا أصيلا، في حين أن الآخر هامشيا.
أما النقد ما بعد الكولونيالي (Post-colonial Criticism) فهو حقل معرفي يدرس آثار الاستعمار بعد استقلال المستعمرات، ولا ينظر إلى القضايا التاريخية القديمة بل يتجاوزها إلى تسليط الضوء على كل الأشكال الجديدة المتمثلة في السيطرة والتي يمارسها المركز على الهامش، وهذا ما يدعو لومبا إلى قوله أن ما بعد الكولونيالية ما هي إلا وليدة ما بعد الحداثة بوصفها نتاجا تاريخيا يحمل ثقافة اجتماعية وسياسية (لومبا، 2007، 34).
لقد رفض الذين عرفوا المنفى الكثير من الخطابات المركزية، فحين كانوا يكتشفون أسرار الهيمنة والسلطة على البلدان ومن ضياع للهوية –رغم الهوية المختلفة لبلدانهم- ومن هؤلاء ادوارد سعيد، فقد وجد أن وجوده في المنفى يعني أن يظل هامشيا أبدا(سعيد، 1997، ص 70)

مفاهيم يرتكز عليها النقد ما بعد الكولونيالية

الغيرية (Othering): وهي عملية تصوير الآخر الهامشي غريبا متوحشا متخلفا، وهذا ما يجعله محتاجا إلى مراقبة وسيطرة، وهو ما يعني انتزاع للهوية في محاولة لزج هوية الأول المركزي (Fredenc, 2010, p40)

الهوية المتمزقة: وتعني العيش بين الولاء للذات والتمثل بثقافة المركز، ومن هنا انطلقت الكولونيالية في تسليط الضوء على ثقافة الأول عند الآخر الخارج عن دائرة المركز(بعلي, 2007, ص 172).

مقاومة الآخر: ومعنى مقاومة الأخر: الأصوات التي تأتي للدفاع عن الهوية وزعزعة هيمنة المركز، ويتضح ذلك من خلال العلاقة بين سلطة المركز على الآخر، وهو ما يدعو إلى أن ما بعد الكولونيالية صراع الآخر مع أثر الأول في محاولة لإبطال هيمنة الأخير(راغب, 2003، ص 549).

إن تطبيق هذا النقد على الرواية الأفغانية –المهاجرة- يتيح لنا استكشاف طريقة الآخر ومقاومته، فيكون نصا يفضح الأشكال الجديدة للهيمنة والعنف الممارس على كل جسد هامشي.

سردية الجسد المُقاوِم

في أدب الحرب والنزوح يتحول الجسد من وعاء بشري إلى نص يجسد الصراع، فهو الساحة التي تحدث فيها وعليها آثار العنف، سواء كان العنف مباشرا (مثل اعتداء المهربين) أو عنف وجودي يتمثل في (المرض والاهمال والمنفى)، والجسد حتميا يكون سجلا حافلا بذاكرة مفقودة، ثم لا يكون أخيرا إلا أثرا متبقيا من الهوية الضائعة، ومن خلال رواية المهاجرة يمكن أن نقول:

جسد الأنثى: هدف سهل الاختراق من قبل المهربين، وهو الرهن الذي يقيد الأب، ليصبح أخيرا أكثر الأوعية حملا للألم.

مرض الهوية: المرض عند مريم لا ينظر له بوصفه مرضا عضويا بقدر ما هو مرض للهوية التي تمثل حالة انشطار بين الوطن الأم والمنفى، وقد أشار روبنسون في تعريفه لما بعد الكولونيالية إلى إمكانية استجابة الآخر للثقافة الأوربية، واستكشاف مدى التأثر وكيف تطبعت الثقافة في المجتمع الآخر(روبنسون، 2009، ص 88)

إن تحليل رواية "المهاجرة" من خلال هذه العدسة يكشف أن صراع مريم ليس صراعاً فردياً ضد القدر، بل هو نتاج مباشر لتأثيرات الكولونيالية الجديدة التي خلفت دولة هشة، مما أجبرها على دخول مسارات الهجرة، حيث أصبح جسدها تحت رحمة قوى العنف التي تمارس سلطتها على "الهامش".

المحور الأول: جسد مريم: بين الذاكرة ومرض الهوية

إذا كان الجسد يمثل مادة للرمز، فمنه تنبثق وتأتي العلامات والمعاني التي بدورها تمثل التواجد الفردي والاجتماعي(دافيد لوبروتون، 2014، 15- 16) ومن هنا كان جسد مريم المادي في الرواية سجلا حيا لأثر النزوح جسديا ونفسيا، ثم يتحول المرض إلى ظاهرة من مظاهر (أزمة الهوية) التي لا يمكن تشخيصها ولا علاجها بالأدوات الطبية التقليدية المتعارف عليها، فالمرض عند مريم في إيطاليا لم يكن مجرد علة، وإنما كان الجسد يمثل مرارة الفقد والمنفى، وقبل كل ذلك –قبل أن يصبح الجسد صورة للإنهاك- كان الجسد مرتبطا بالوطن والبيت بوصفه هوية أصلية، ولعل أبرز ما يصور ويوضح ذلك الارتباط النقش المحفور:

"رأيت على أعلى الباب نقشًا محفورًا فيه: مريم سنة 1990... فكان هذا تاريخ ميلادي"(أحمدي، 19)

هذا النقش على الباب يمثل الوشم الجسدي للذاكرة، حيث يندمج الجسد والبيت والوطن في ذاكرة واحدة تُنتهَك حين يُهجر المكان.

وتتضح صورة (صراع الهوية) حين حاولت مريم أن تتأقلم مع المقياس الغربي، وبذلك كان جسدها ميدانا للصراع الثقافي، ولا سيما أن مظاهر التأثر باتت تبدو واضحة:

"وقفت أمام المرآة... لم يعجبني الوضع الذي كنت عليه؛ فالبنطلون كان ضيقًا وملتصقًا بجسمي"

الوقوف أمام المرآة وإنكار الوضع الذي باتت عليه مريم، يمثل لحظة استكشاف الهوية عن الأخرى، فالبنطلون كان ضيقا ملتسقا بالجسم، وهو ما يمثل هوية لا تشبه هوية مريم، لا تمثل تقاليدها ولا أعرافها ولا ثقافتها، وهذا يعني أن التغريب القسري قد مورس حقا على الهوية، والجسد نفسه يمثل صورة تعريفية بالهوية حينا، وبالانتماء حينا آخر(الزمر، 2021، 221)

لقد أدرك المؤلف معنى المرض، وقد أكده على لسان مريم وهي تتحدث عبر الهاتف، حيث يتضح شعورها باليأس الذي يتجاوز حدود المرض العضوي، ليكون تعبيرا عن حالة أعمق تعيش على فقدان الوطن والعائلة:

"اعذرني؛ فقد أخذوني لإجراء الفحوصات، لا أمل لي في الحياة"(أحمدي، 10)

تبدو حالة اليأس والتعب العام عند مريم مصورة لاستنزاف طاقة الحياة لديها وهو ما يحد من إمكانياتها على إكمال الحديث وسرد القصة الشفوية إلى الكاتب، هذا الإنهاك أحد أهم الأجزاء من المأساة، إذ تتجسد المخاوف من الموت الذي سيقطع مواصلة السرد قبل اكتماله، وبذلك يتجلى السرد بوصفه فعلا مقاوما أخيرا:

"أنا مرهقة، مرهقة جدا، أخاف أن لا أتمكن من اكتمال قصتي." (أحمدي، 16)

إن هذا الاستنزاف الجسدي، الذي أتى نتيجة مسار الهجرة القاسية، يتطلب تدخلاً طبياً مستمراً، مما يجعل جسدها خاضعاً لسلطة المستشفى وقوانين المنفى، وهنا، تتحدث الممرضة (لوسي) عن القيود المفروضة على جسد مريم، مما يدل على تحول الجسد إلى كيان ضعيف وهش يتطلب العناية القصوى، ويؤكد عدم استردادها لعافيتها:

"تقول لي لوسي: - إن المشي بالنسبة لك مضر" (أحمدي، 18)

صار من الضروري أن يتدخل الطب تدخلا مستمرا، فالجسد لم يعد قادرا على المشي، وهذا ما يعني أن الجسد نفسه بات خاضعا لسلطة المستشفى وقوانين المنفى، فالمكان الذي ترقد فيه مريم لم يكن مكانا للطب بقدر ما كان مكانا محاطا بسلطوية المركز، باتت المستشفى صورة أخرى من المنفى، وصورة أخرى من التقيد:

"المكان عبارة عن مستشفى حكومي صغير... أقضي اليوم في هذه الغرفة المغطاة بالسيراميك الأبيض... لا أخرج منها كثيرا" (أحمدي، 18)

إن الجسد المهاجر الذي كان يبحث عن الخلاص بات خاضعا لسلطة المراقبة الغربية؛ وإذا كانت المستشفى رمزا للمؤسسة الكولونيالية التي تحوّل الجسد إلى موضوع للمعاينة والعزل.

إن الاستعمار الداخلي للمرض تجاوز تفاصيل الجسد نفسه، إذ أن لغة الدم باتت ناطقة، هو شعور بفقدان الهوية، وفقدان الذات، وهذا الشعور كفيل بأن يكون صاحبه متعبا:

"اليوم أحس بالتعب فقد أرجعت الدم مرتين"(أحمدي، 82)

يصور هذا النص لغة ناطقة للجسد، أن يشعر بالتعب، وأن يسترجع الدم مرتين، هذا الموت البطيء يمكن أن يكون الوجه الداخلي للاستعمار، إذ أن النظرة الكولونيالية وعلاقتها بالآخر علاقة لا ثقة فيها مطلقا، تشعر الآخر أنه غير موثوق به، فهو لا يقوى على التحرك بحرية، كما لا يمكن أن يختار لنفسه أن يكون خارج سلطته:

"هذه صاحبة العيون الزرقاء لا تثق بي، ستظل واقفة على رأسي حتى الانتهاء من تناول خمسة أقراص مُرّة" (أحمدي، 16)

إن صاحبة العيون الزرقاء (الممرضة) تمثل السلطة التي ترى أن الآخر كائن قاصر لا بد له من ضبط ومراقبة، والسلطة نفسها تضع نفسها في صورة المعالج، وأن الآخر دائما في موضع المريض، وتجري عليه قوانينها المرة.

ولعل حالة الاختلاف المنسوبة إلى الهوية الأفغانية جعلت منه بؤرة للهيمنة من ناحية، وأن تكون أفغانيا فإن ذلك يعني وجوب تلقيه لكل الشكوك والقلق والمراقبة والتقيد(Shammas, V. 2018, 1)، وهذا ما جعل من فعل السرد نفسه في رواية المهاجرة مقاومة تواجه الهيمنة، لكنه أيضا ما زال معبرا عن التقيد:

"سعلت مريم، ثم صمتت لحظة... سامحني، بطارية المسجل كانت ضعيفة" (أحمدي، 25)

تمثل صورة الصمت وانقطاع الصوت استعمارا لغويا يحمل بين طياته معنى (عدم القدرة على التعبير) وهو شكل من أشكال الاستعمار الذي سبق وأن تحدث عنه هومي بابا، وإن البطارية الضعيفة، لا تمثل إلا الآخر الضعيف الذي يدرك جيدا أنه فقد سيطرته الخاصة على نفسه حتى بات خاضعا للمراقبة، هنا يتحول الفضاء الرقمي إلى امتداد للمنفى، فمن خلاله يفرض المركز أدواته التي تسبب قيودا على الهامش، وهو ما يجعل من الجسد السردي ضعيفا كضعف البطارية التي تحمله، وهذا الضعف المتراكم

للجسد لا يقف عند الجسد فحسب بقدر ما ينتقل إلى الروح نفسها، إذ أن مريم قد تراجعت عن آخر رابط عاطفي لها بالوطن، فبعدما كانت حريصة على متابعة البلد وأخباره، باتت منقطعة عنه ليكون الوطن نفسه مجرد ذكرى، في حين أن الحاضر لم يكن إلا حالة من انتظار.

"وبعدها لم تدخل مريم صفحة موقع الفيسبوك أبدا، وكانت تتذرع بأنها مضيعة للوقت" (أحمدي، 94)

يحمل هذا الابتعاد بين طياته إحساسا عميقا بأن الجسد لم يعد صالحا للمشاعر الماضية، كما أنه لم يعد صالحا للحياة القديمة، إذ استسلم للقوانين التي فُرضت عليه (المنفى والموت البطيء) وهذا ما يصور لنا ضعف الجسد من ناحية، وقوة السلطة الأبوية من ناحية أخرى التي أدت إلى تهميشه وهو ما سيتضح في المحور التالي.

المحور الثاني: الجسد كرهن أو سلعة في مسار التهريب

إن الهجرة غير الشرعية هي لحظة فاصلة في الرواية، والمحور الذي يصور انتهاك الجسد بوصفه سلعة تباع وتشترى، وفي النقد ما بعد الكولونيالي، يكون المهاجر ممن فقد الحماية حتى تحول جسده إلى أرض مستباحة للآخر الأقوى، وما زال الجسد الأنثوي أداة يمكن أن يوظفها الخطاب في بناء الرسائل، فهو لغة العصر التي تناولته ممارسة الإبداع المعاصر لما يحمل من دلالات وإيماءات تعبيرية (Sessi, 2018, 2)، وفي رواية المهاجرة ما يزال الجسد الأنثوي قبل وبعد السقوط بين أيدي المهربين هدفا لامعا للعنف، ولعل أبرز نص يوضح ذلك:

"ارتج المكان بالصراخ... اقترب أبي من والدتي، رفع يدها ثم تركه فاصطدم بالأرض... ظل ممعنًا النظر إلى قميصها الممزق وصدرها"(أحمدي، 64)

هكذا يمثل الجسد الأنثوي أرضا منتهكة، حيث يمثل هذا الجسد صورة الوطن والأرض التي تم استعمارها، كما أن مسار النزوح نفسه عبر الحدود يصور أجسادا أنثوية ممزقة كانت محطة دقيقة للمؤلف تجعل منه مصورا لطرق الانتهاك وضياع الهوية وتمزقها:

"رأيت امرأة وقد دخل الغصن في بطنها وتفور الدماء منه"(أحمدي، 84)

رؤية المرأة والتركيز على رؤية المرأة يحمل دلالة جوهرية، فالمهاجرة يُسفك دمها على الحدود كما تاريخ وطن كامل في زمن الحروب، الرحلة نفسها هي مدة الحرب، والمنتهك هي نفسها الهوية والثقافة والإنسان، ولحظة الانتهاك أثناء الهجرة (الحرب).

إن أول مظاهر الانتهاك يكمن في فقدان الأب سلطته، وانهيار سلطة الأب أتاح للمهربين (قوى العنف الجديدة) الوصول إلى الجسد، إذ تبدو في أعين السلطة الجديدة الازدراء التام للهوية والثقافة الأفغانية، وهم بذلك يريدون تجريد الأب من سلطته في حماية عائلته وشرفه، ولعل مشهد التهريب الحاسم يصور المهرب بوصفه مثالا للأب، يصور الكيفية التي تمكن من خلالها انتهاك الجسد، يصور كيف أن الثقافة والهوية تتلاشى أمام النزوح في المنفى.

ولعل الكثير من الدراسات التي تناولت الجسد الأنثوي ما بعد الاستعمار حاولت أن تغير التصور عن النساء على أنهن ضحايا للقمع وتصويرهن (كأخريات) ولا سيما المسلمات اللواتي يرتدين الحجاب غير أنها وقعت في فخ آخر وهو أنها ما تزال بحاجة إلى الاستكشاف(Babakhani, A. 2022, 1).

وليس ببعيد عن مريم التي يفرض المهرب سيطرته عليها في قوله:

"وعندما كنا نعبر الحدود حملت نفس الفتاة في حضني، وقمت بتقبيلها وإخوانها كانوا ينظرون إلي، ولم يكن باستطاعتهم فعل شيء."(أحمدي، 71)

هذه الصورة لا تمثل انتهاكا جسديا فحسب بل هي صورة لفقد السيطرة الأبوية، وهذا الاقتباس لا يمثل صورة الانتهاك الجسدي على مريم فقط، بقدر ما يمثل اعتداءات على العائلة وسلطتها وأعرافها وتقاليدها وهويتها وثقافتها، ويصور أيضا تهديدا واضحا بأن جسد المرأة هي النقطة الضعيفة التي يمكن استغلالها في تقييد حركة الرجل وسلب إرادته، الهوية نفسها هي النقطة الأضعف في البشرية، والإنسان نفسه هو سلطة الأب لنفسه، لذلك نرى أن تجريد السلطة الأبوية واضحا بالغا الذروة حين يكتشف الأب أن المهربين قد دسوا مادة الهيروين في الحقيبة، في تلك اللحظة يتلاشى مفهوم السلطة الأبوية ويتحول إلى ضعف حقيقي أمام التهديد المباشر باستخدام الزوجة والبنت مقابل السكوت، وتكون السلطة أمام خيارين أحلاهما مر، إما سكوت عن الخطأ والضياع، أو التضحية بسلامة الزوجة والبنت.

هكذا تتم مراجعة الجسد المجازي، إذ غالبا ما يصور من خلاله عمليات العنف والانتهاك (Duncan, R., & Cumpsty, R. 2020, 587)،

"رفع أبي يده. رد عليه الرجل: - لا تكن أحمقا، فما زالت زوجتك وبنتك معك."(أحمدي، 75)

هكذا كان جسد الزوجة والبنت الضمان الوحيد الذي يدفع مقاومة الأب وإفشال عملية التهريب للمادة الممنوعة، الأجساد هنا باتت أدوات ووسيلة للتهريب، وهكذا يؤكد الكاتب أن الجسد الأنثوي في هذا السياق أكثر ما يدفع به كرهن في معادلات النزوح.

ولا تتوقف الإشارة إلى العنف الجسدي عند استغلال المهربين فحسب، بل تذهب إلى التجريد العام لكرامة الإنسان في مسار هجرته، وانتزاع الهوية منه والتقاليد، بل يتجاوز ذلك إلى فقدان الأخ وعجز العائلة عن حماية أفرادها من الذكور أيضا، فإذا كان النزوح بهذه الصورة فهو يمثل رحلة عن حياة جديدة، حياة مليئة بالانتهاكات المتوالية التي تترك بصمتها على الجسد رغم الوصول إلى أرض المنفى، ومن هنا كان الجسد مشاركا في بناء الصورة الاستعمارية للهوية، وهو ما لم يكن حاضرا في رواية المهاجرة فحسب بل يمكن اكتشافه في روايات كثيرة ولا سيما التي تتناول الجانب النقدي لما بعد الكولونيالي (Duncan, R., & Cumpsty, R. 2020, 600- 605).

المحور الثالث: الرمزية الأخيرة: الجسد والوطن المُتخيل

الوطن هوية الفرد والأرض التي يكتشف نفسه من خلالها، والرقعة التي تمثل كيانه ووجوده الثقافي والفكري، والمنفى انتزاع للهوية عن دراية أو غير دراية.

لقد عُرف عن الجسد الأفغاني أنه غالبا ما تسلط عليه نقوش الهيمنة والسلطة والعنف والاستغلال وانتزاع الهوية (Shoaib, M., & Akhtar, M. 2025, 19)، وهذه المأساة يجسدها المؤلف حين تحدث عن مأساة مريم السابقة التي باتت تحتم اختتاما متمثلا في (تيبس الجسد في الرواية)، فبعد أن أصبح الجسد في المنفى عبارة عن كيان ينتظر الموت، قررت أن مريم ربط مصير هذا الجسد بمصير الوطن، فقد وجدت مريم أن طلبها لا يمثل أمنية بسيطة عابرة بقدر ما هو فعل سردي أخير يمكن أن يعيد لها هويتها الممزقة في المنفى قبل أن يتلاشى ذلك الجسد، هنا تطلب مريم من المرضة لوسي التي تمثل (المركز) الذي احتضن الجسد المريض، ليصبح طلبها بيانا نهائيا عن الانتماء:

"قالت لي يوما : - عمتي لوسي لقد أتعبتك كثيرا وأرجو منك تلبية طلب أخير! فأنا أحتفظ بخريطة أفغانستان، وصورة وحيد تحت وسادتي وأرجو منك وضعها معي في التابوت."(احمدي، 95)

يحمل هذا النص دلالات كثيرة تصور هوية ممزقة حقيقية، لقد اعتادت مريم على لوسي وأسمتها (عمتي) وبدأت تشعر بفضل لوسي نفسها التي كانت تضعها تحت المراقبة!

يمثل هذا النص صورة الهيمنة من ناحية، وصورة الأنا التي تغيرت إليها مريم، وصورة أخيرة من الوعي الذي تدركه مريم بيد أنها لا حيلة لها لتغير الصورة الجديدة إلا أن تطلب طلبها.

لقد شكل هذا الطلب اعترافا بأن الجسد المهاجر لم يعد ينتمي إلى الوطن الأم، لكنه أيضا يصور من ناحية أخرى أنه لم يتطبع تماما في الأرض التي مات عليها (إيطاليا)، وهذا ما يصوره طلب دفن الخريطة والصور، فهو يحمل دلالة رمزية عميقة تربط الجسد بضرورة الهوية المفقودة، وقد يمثل هذا النص صورة مختلفة أيضا يحمل بين طياته الشعور بفقدان الهوية، وموت الذكريات التي لا بد لها من أن تُدفن أيضا مع الجسد الذي فقد هويته.

إن خريطة أفغانستان تمثل الوطن الذي لم تستطع مريم من العودة إليه حية، غير أنها اختارت أن تدفنه معها كجزء من الهوية، أو كصورة من الهوية الضائعة، على أن ذلك يبقى رمزا للانتماء الجغرافي الذي تم انتزاعه قسرا، فيمثل دفن الجسد حينذاك مع الخريطة رفضا لانصهار الجسد في ثقافة المنفى، هي المحاولة الأخيرة التي حاولت مريم أن تستعيد من خلالها ذلك الانتماء، أو هي اللقمة المرة التي جرعتها مريم في شعورها أن الانتماء نفسه قد مات مثل الجسد، وهكذا تموت أيقونة الوطن بتفتت الجسد وموته أيضا(Duncan, R., & Cumpsty, R. 2020, 587).

أما وحيد، فهو ذاكرة سعيدة عالقة معها من كابل إلى إيطاليا، وهو يمثل الإرث الجميل المغاير للصورة المركزية من ناحية، ويمثل الوطن من ناحية أخرى، وبذلك تكون تلك الذاكرة الوعاء الأخير الذي احتفظ بالوطن الذي لم يعد موجودا في الواقع السياسي، غير أنه ما زال حيا ما دامت الحياة في جسد مريم.
يصور النص رمزية أخرى يمكن أن تتضح بعد الخريطة وصورة وحيد، روح مريم نفسها هي الهوية، وموت مريم الإنسان يعني موت الوطن وفقدانه لهويته، وذلك يتضح أيضا من أن الجسد المغطى بخرقة الوطن وذاكرة الحب يتحول إلى نص سردي أخير يلخص مأساة الهوية الأفغانية الممزقة، من هذا الطلب استعادت مريم سلطتها الأخيرة المتبقية (سلطتها على الجسد) لتؤكد أن الانتماء يمكن أن يتجاوز الحدود، يمكن أن يعيش معها في الحياة والممات.

الخاتمة

يخلص هذا البحث إلى أن رواية المهاجرة لنصير أحمد أحمدي تمثل نموذجًا سرديًا متفردًا في الأدب الأفغاني الحديث، استطاع أن يوظف الجسد الأنثوي بوصفه مركزًا دلاليًا لفهم معاني المنفى والهوية والاضطهاد، وأن يجعل من الجسد نصًّا موازيًا لتاريخ الوطن الممزق. لقد كشفت الدراسة من خلال منظور النقد ما بعد الكولونيالي أن الجسد في هذه الرواية لا يُقدَّم ككيان بيولوجي محض، بل كفضاء تتقاطع فيه سلطات متعدّدة — سياسية وثقافية وأبوية — تُعيد إنتاج الهيمنة في صور مختلفة، بدءًا من الاحتلال ومرورًا بالتهريب، وانتهاءً بسلطة المستشفى والمنفى.
وتؤكد القراءة التحليلية أن مريم، بطلة الرواية، تمثل الجسد المهاجر الذي فقد مركزه وذاكرته، لكنه ما زال يقاوم عبر السرد بوصفه شكلاً من أشكال استعادة الصوت المقموع، ويتحول هذا السرد المُنقل عبر الأنترنت إلى فعل مقاومة مضاد للعنف الرمزي والمادي معا، لتصبح الرواية شهادة فنية على تحولات الكائن من الضحية إلى الذات الواعية التي تعيد صياغة مصيرها بالكلمة لا بالجسد.
أما طلب مريم الأخير — أن تُدفن مع خريطة أفغانستان وصورة حبيبها وحيد — فهو ذروة الرمزية في النص، إذ يُعبّر عن عودة الجسد إلى وطنه المتخيل بعد أن عجز عن العودة الواقعية، فيغدو فعل الدفن استعادة رمزية للهوية ومقاومة للطمس الثقافي. ومن هنا يتضح أن الرواية لا تكتفي بتمثيل الجسد المنتهك، بل تتجاوزه لتجعل من الجسد ذاته وسيلة لتعرية منظومة القهر الكولونيالي ومساءلة بنيتها.
ومن نتائج هذه الدراسة أن النقد ما بعد الكولونيالي يتيح أدوات تحليلية قادرة على تفكيك أشكال السيطرة غير المباشرة على الجسد والهُوية في الأدب المعاصر، وأن رواية المهاجرة قدّمت نموذجًا فنيًا يمكن أن يُقاس عليه في دراسة نصوص المنفى والنزوح في الأدب الآسيوي. ويُوصي البحث بمزيد من الدراسات المقارنة التي تتناول صورة الجسد الأنثوي في الأدب ما بعد الكولونيالي، بوصفها أداةً لقراءة التحولات التاريخية والثقافية بين الشرق والغرب، وبين الهوية والاغتراب.

نتائج البحث

- توصل البحث إلى جملة من النتائج التي توضح طبيعة تمثيل الجسد الأنثوي في رواية المهاجرة وصلته بالهوية والمنفى وسلطة الآخر، ويمكن تلخيصها فيما يأتي:
- تسييس الجسد الأنثوي: أظهرت الدراسة أن الجسد في رواية المهاجرة ليس كيانًا بيولوجيًا فحسب، بل هو رمز سياسي وثقافي يُعبّر عن الوطن الممزق، ويجسد العنف الذي مارسته السلطة المركزية (الاستعمارية والذكورية) على الهامش.
- تحوّل الجسد إلى فضاء سردي للمقاومة: جسد مريم تحوّل من كونه موضوعًا للهيمنة إلى نصٍّ سرديٍّ يقاوم التهميش بالصوت والذاكرة، لتغدو الحكاية ذاتها فعلًا من أفعال استعادة الذات.
- المنفى بوصفه امتدادًا للاستعمار: أظهرت القراءة أن المستشفى والمنفى ليسا فضاءين للشفاء أو الحرية، بل صورتان جديدتان من صور الهيمنة الغربية التي تُخضع الجسد للرقابة والعزل.
- انهيار السلطة الأبوية وصعود سلطة الآخر: بينت الأحداث أن سقوط الأب أمام المهربين يمثل انهيارًا للسلطة التقليدية داخل المجتمع الشرقي، مما فتح الطريق أمام سيطرة قوى جديدة تعيد إنتاج العنف ضد الجسد الأنثوي.

- الهوية الممزقة والذاكرة المفقودة: تجسدت أزمة الهوية في صراع مريم بين ثقافة الوطن وقيم المركز الغربي، وهو صراع انتهى بتيبّس الجسد وتلاشي الانتماء، لكنها استعادت رمزيتها الأخيرة بطلب دفن خريطة الوطن معها، في محاولة لاستعادة هوية ما بعد الموت.
- إعادة تعريف الجسد في ضوء النقد ما بعد الكولونيالي: أثبتت الدراسة أن الجسد في الرواية يُعدّ نصًا ما بعد كولونياليّ بامتياز، إذ يكشف تداخل القهر السياسي والاجتماعي مع البنية النفسية للمنفى، ويجعل من الجسد ساحة لمساءلة الخطاب الكولونيالي ومقاومته.
- الفضاء الرقمي صورة مركزية: أثبتت القراءة أن الفضاء الرقمي لم يكن مجرد أداة سردية بقدر ما كان صورة للمنفى من ناحية، وصورة للهيمنة وتجريد الهوية من ناحية أخرى، فهو يعكس خضوع الهوية للمركز، ويجسد رمزية البطارية الضعيفة، والانسحاب من فيسبوك، وتلاشي القدرة على المقاومة السردية في مواجهة الهيمنة التكنولوجية.

المصادر والمراجع الإنجليزية

- Shammas, V. (2018). The Arab Body. Rhizomes: Cultural Studies in Emerging Knowledge. https://doi.org/10.20415/rhiz/034.e09
- Duncan, R., & Cumpsty, R. (2020). The Body in Postcolonial Fiction after the Millennium. Interventions, 22, 587 - 605. https://doi.org/10.1080/1369801x.2020.1718532Shoaib, M., & Akhtar, M. (2025). PALIMPSESTIC HISTORY OF AFGHANISTAN IN NADEEM ASLAM'S THE WASTED VIGIL. Kashf Journal of Multidisciplinary Research. https://doi.org/10.71146/kjmr336
- Babakhani, A. (2022). Control over Muslim Women's Bodies: A Critical Review. Sociological Inquiry. https://doi.org/10.1111/soin.12529
- Frederic Cooper, 2010 Le Colonialisme en questions, Théorisa connaissance histoire, traduit par Christian Jeanmougain, Ed Payot, Patis, p40.

المصادر والمراجع العربية

- أحمدي، نصير، 2014، رواية المهاجرة، ترجمة محمد داوود الأفغاني، فريق متميزون للكتب النصية.
- الزمر، أمل. (2021). سيميائية الجسد في الشعر الجاهلي (ط. 1). مؤسسة أروقة للدراسات والنشر
- جلال الزبعي: أسطورة الجسد (في حديث أبو هريرة قال...)، لمحمود المسعدي، دار نهى للطباعة والنشر، تونس، ط 01، 2012.
- رسول محمد رسول: الجسد المتخيل في السرد الروائي، النخايا للدراسات والنشر والتوزيع، ط 01، 2014.
- دافيد لوبروتون: سوسيولوجيا الجسد، ترجمة عباد إبلال وإدريس المحمدي، روافد للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014
- ادوارد سعيد، 1997، صور المثقف، د.ط.ت: عفسان غصن، بيروت، دار النهار للنشر والتوزيع
- راغب نبيل، 2003، موسوعة النظريات الأدبية، ط 1، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر
- بعلي، حنفاوي، 2007، مدخل في نظرية النقد الثقافي/المقارن، ط1، الجزائر، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف
- لومبا، أنيا، 2007، في نظرية الاستعمار الأدبية، ط1، ت: محمد عبد الغني غنوم، سوريا، دار الحوار
- روبنسون، دوغلاس، 2009، الترجمة والإمبراطورية، مجلة نذوي، العدد: ج، ص 88